بسم الله الرحمن الرحيم (الخير في تعلم القرآن وتعليمه لا مجرد حفظه وتحفيظه)

أ- روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» وفي رواية له: «إنما أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه».

وفقه أصحاب رضي الله عنهم شرع الله وسنة رسوله فكانوا لا يتجاوزونه مجرد التلاوة دون تدبر، بل كانوا لا يجاوزون به عشر آيات حتى يعلموا معانيه والعمل به (رواه الطبري في تفسيره عن ابن مسعود رضي الله عنه). ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ختم القرآن في أقل من سبع (عند الشيخين) وثلاث (عند غيرهما) لأنه ليتحقق تدبره وفقهه.

ب- وأنزل الله كتابه على قلب نبيه مفرقا رحمة لعباده ونورا لهم ﴿ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾. واستعجل المشركون التنزيل جملة واحدة فرد الله كيدهم: ﴿وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا﴾ أي: بيناه تبيينا (قتادة) بترتيل شيئا بعد شيء بتمهل وتؤدة (المحلي).

واتبع النبي صلى الله عليه وسلم شرع ربه فرتل القرآن ترتيلا، يقف على رءوس الآي (أبو داود وغيره) ولم يرو عنه الجمع بين آيتين قط. وكان (فيما رواه مسلم في صحيحه) يقرأ القرآن مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ)، ولا يصح قصر ذلك على صلاة الليل بل هو عام في الصلاة وفي غيرها إذ لم يرد مخصص، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: «آمين» بعد قراءة الفاتحة (البخاري) ويأمر المأمومين بقوله (متفق عليه)، وكان إذا قرأ: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾ قال: «سبحانك فبلى» وإذا قرأ: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ قال: «سبحان ربي الأعلى»؛ قال المحدث الألباني في (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم): (وهو يشمل القراءة في الصلاة وخارجها والنافلة والفريضة، وقد رواه ابن أبي شيبة عن أبي موسى الأشعري والمغيرة أنهما كانا يقولانه ذلك في الفريضة ورواه عنه عمر وعلي إطلاقا). وكان صلى الله عليه وسلم: (يمد قراءته مدا، يمد: ببسم الله، ويمد: بالرحمن، ويمد: بالرحيم)، (البخاري) وكان يقرأ قراءة (مفسرة حرفا حرفا) أحمد وأبو داود.

ج- وروى البخاري ومسلم في صحيحهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم» واللفظ لمسلم،

وفي رواية: «لا يجاوز تراقيهم» وفي رواية: «ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم» من صحيح مسلم.

فمجرد التلاوة والحفظ دون تدبر (وهو أكبر همّ الحفاظ والمحفظين اليوم) مخالف لشرع الله ولسنة رسوله ولسبيل المؤمنين القدوة، فجاء إليه الأعاجم بمسوغ العجمة، وتبعهم العرب في القرن الأخير دون مسوغ.

د- وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يتجاوزون حفظ القرآن (وهو فاضلة) دون تدبره (وهو فرض عين)، بل ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم مات ولم يحفظ القرآن من الصحابة غير أربعة على اختلاف في أسمائهم، ومجموع الروايات لا يكاد الحفاظ من الصحابة يتجاوز عددهم العشرة، ووصف غيرهم بالقراء لا يعني حفظ كل.

ويؤيد ذلك ما ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه من قوله: (إنا صحبنا حفظ القرآن وعرفنا العمل به، وإنه سيذهب بعدنا يعرف علينا حفظ القرآن ويضيع عليهم العمل به) الجامع لأحكام القرآن ١/٧٥.

ومثله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من قوله: (كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر هذه الأمة لا يحفظ من القرآن إلا السورة ونحوها ورزقوا العمل بالقرآن) الجامع لأحكام القرآن ١/٧٦.

هـ- وكانوا يحذرون مما آل إليه الحال اليوم في جميع بلاد المسلمين عربا وعجما، فقد أمر عمر رضي الله عنه عامله في القراءة أن يفرضه للحفاظ في الديوان، فلما بلغ أبا سفيان حفظوا القرآن قال: (إني لأخشى أن يتشرعوا إلى القرآن قبل أن يتفقهوا في الدين) وكتب إلى عامله ألا يطيعهم شيئا (عمدة القاري في المتشابه).

وكانوا يتعلمون الإيمان قبل القرآن ثم يتعلمون القرآن (صحيح ابن ماجه).

(تنزل السورة فيتعلمون حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها) بيان مشكل الآثار للطحاوي ٤/٤٤ عن ابن عمر رضي الله عنهما.

حتى لقد ورد عن عمر رضي الله عنه أن تعلم سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١/٧٦- دار الكتاب العربي بيروت).

و- قال الحسن البصري رحمه الله: (نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملا) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/٨٧ ط مكتبة الرياض الحديثة.

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني﴾: (ذم الله المحرفين لكتابه والأميين الذين لا يعلمون منه إلا مجرد التلاوة وهي الأماني) بدائع التفسير ١/٢٠٠.

وذكر الشوكاني رحمه الله مما تفسيرها: (لا علم لهم إلا مجرد التلاوة دون فهم وتدبر) فتح القدير ١/١٠٤

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به﴾: قال ابن مسعود رضي الله عنه: (والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزل الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويل)، وعن عمر رضي الله عنه: (الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها).

ولم يفسرها أحد من الفقهاء في الذين بالتجويد والحفظ مجرداً عن التدبر.

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾: (هجر القرآن أنواع)، وذكر منها: (هجر تدبره وتفهمه ومعرفة مراد الله منه) بدائع التفسير.

وقال ابن كثير: (وترك تدبره وتفهم ما فيه هجران) مختصر زاد المعاد ٦٧٨.

وقال ابن القيم رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾: (وهذه المتابعة هي التلاوة التي أثنى الله على أهلها ... فتلاوة اللفظ جزء مسمى التلاوة المطلقة وحقيقة اللفظ إنما هي الاتباع ... والمقصود التلاوة الحقيقية وهي تلاوة المعنى واتباعه ... وتلاوة المعنى أشرف من تلاوة اللفظ، وأهلها هم أهل القرآن الذين لهم الشفاء في الدنيا والآخرة) مفتاح دار السعادة ج ١ ص ٤٤ مكتبة الرياض الحديثة.

وقال ابن القيم رحمه الله: (فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وحلاوة القرآن)، وروى عبد الله بن أيوب عن أبي جمرة قال: قلت لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: (لأن أقرأ سورة واحدة فأتدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كما تقرأ) ١٨٧/٢.

وقال ابن تيمية رحمه الله: (والمطلوب من القرآن فهمه ومعانيه والعمل به فإنه لم تكن هذه همة حافظيه لم يكن من أهل العلم والنصح) مجموع الفتاوى ج ٢٢ ص ٥٥.

ويظهر من مجموع هذه الآثار والأقوال أن الانحراف عن شرع الله وسنة رسوله وسبيل المؤمنين بالانشغال بحفظ القرآن عن تدبره وفقه مراد الله منه ظهر في القرية الأولى فتقرب من لم يجاوز القرآن تراقيهم إلى الله بالخروج على ولاة الأمر منهم بل قتل خيار أولياء الله: عثمان وعلي رضي الله عنهما، وتقرب المحرفون منهم بالخروج على ولاة أمرهم وقتل أنفسهم وقتل نفوس حرم الله قتلها بغير حقه.

واليوم تستدر عواطف المحسنين بتحفيظ القرآن أو الحديث في (٦٠) يوماً فماذا بعد؟

ز- وبعث الله دولة التوحيد والسنة ومنهاج النبوة في الدين والدعوة لتجديد دينه بالعودة به إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه (بعد أن احتالت شياطين الفاطميين والصفانيين ومن بينهما الناس عن الفطرة التي فطرهم الله عليها) فاهتم علماؤها بتعليم الأمة دينها الحق وردها إلى تدبر القرآن، ولم يهتم أحد منهم بمجرد الحفظ والتحفيظ الذي هو مبلغ علم وتعبد الجاهلين من عوام العجم ثم العرب.

وجاء ما يسمى (الصحوة الإسلامية) التي غلب عليها الفكر والعاطفة والشكل ونأت عن علوم الشريعة وعلمائها فانتشرت بدعة التحفيظ المجرد عن التدبر والتفقه في الدين تحت أسماء: (ملتقيات المساجد، دور القرآن)، (جمعيات التحفيظ) و(جمعيات المحافظة على القرآن). وركبها الحزبيون والحركيون والجهاديون في سبيل الهوى، وجامعوا التبرعات لأغراضهم حتى أكثرهم يحسبون أنهم مهتدون ولكنهم مخالفون لشرع الله وسنة رسوله وسبيل المؤمنين في الدعوة إلى كتاب الله والعمل به.

واختار ولاة الأمر في دولة التوحيد والسنة (بتوفيق الله لهم) إنشاء مدارس باسم تحفيظ القرآن على منهاج النبوة تقدم لأبناء وبنات المسلمين العلوم الشرعية أولاً، وثانياً: حفظ القرآن على مكث بحيث يتعلم الطفل الإيمان ثم يتعلم القرآن كما فعل الصحابة رضي الله عنهم. وفيما يتعلق بحفظ القرآن فإنه يتم في تسع سنوات (ابتدائية ومتوسطة) وتخصص السنوات الثلاث الأخيرة (الثانوية) لمراجعة الحفظ.

واليوم (عام ١٤٢٨هـ) بفضل الله توجد في المملكة المباركة (حسب إحصائية تلقيتها من وزارة التربية والتعليم): (٨٥٠) مدرسة للبنين و(١٠١) مدرسة للبنات يتعلم فيها: (٢٤٦٧٠) طالب وطالبة إضافة إلى حلقات التحفيظ الاختيارية التي تقدمها مدارس الوزارة الأخرى ضمن النشاط المدرسي الإضافي، ولا يقل عدد المشتركين فيها عن عدد طلاب مدارس التحفيظ الحكومية. فلم تعد هناك حاجة لجمعيات التحفيظ المبتدعة.

وفي مدارس التحفيظ وحلقات التابعة لوزارة التربية والتعليم ما يكفي لتحقيق طموح الناشئ لتعلم القرآن تدبراً وفهماً وحفظاً ويغني عن جمعيات التحفيظ المجردة عن التدبر التي ابتدعها عابد بالستاني جاهل بشرع الله فتلقفها في المملكة المباركة الحاطبيون والحركيون والحزبيون. وفي المدارس الحكومية يسهل الإشراف المباشر عليها لتجنب أو تقليل ما يجب الحذر منه من معاصي الشبهات والشهوات التي عانت منها أجيال الأمة وأصيبت الأمر والنهي.

أما البدعة الجديدة: حفظ القرآن أو الحديث في (٦٠) يوماً فمجانبة للشرع والعقل